هو العليم

الرياضة: ضرورتها وبعض مراتبها

شرح حديث عنوان البصريّ – المحاضرة ١٦٢

ألقاها

آية الله الحاجّ السيّد محمّد محسن الحسينيّ الطهرانيّ

قدس الله سره

@MadrastAlwahy

أعوذُ بِاللَه مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم

بِسمِ اللَه الرَّحمنِ الرَّحيم

وَصَلَّى اللَه عَلى سَيِّدنا وَحَبيبِنا، أَبي القاسِمِ المُصطَفى مُحمَّد

وَعَلى آلِه الأَطْيَبينَ الأَطهَرين الهُداةِ المَعصومين

لاسِيَّما بقيَّةِ اللَه في الأَرَضين، أرواحُنا لِتُراب مقدَمِهِ الفداء

وَاللَعنة عَلى أعدائهم وَمُخالِفيهم ومُنكِري حُقوقِهم وَفَضائِلِهم وَمَناقِبهم

إلَى يوم الدّين

السلوك يبتني على إبراز الهمّة والعمل

يقول الإمام الصادق عليه السلام بشأن الرياضة: **«ثلاثة في رياضة النفس:... إيّاك أن تأكل ما لا تشتهيه».**

ذكرنا للأخوة الأخلاّء أنّ حديث عنوان البصري يدور بتمامه حول رياضة النفس، وأنّ الغرض من فقراته كلّها مساعدةُ الإنسان على العبور من مراحل النفس ومن التخيّلات والأوهام وأمثال ذلك: سواء الفقرات المتقدّمة منه أم اللاحقة، حيث إنّ العمل بهذه الفقرات له أثر مباشر في تحوّل الإنسان، والتهاون بها يؤدّي إلى انحطاطه وانزلاقه في عالم الدنيا والنفس؛ فلم يكن التأكيد الصادر عن الأولياء العظام بشأن الاهتمام بهذا الحديث أمرًا عبثيًّا، ومعه، لا يصحّ أن نوكل الأمر إلى الأُستاذ أو إلى الإمام صاحب الزمان (عليه السلام) لنبقى مرتاحي البال نفعل ما نريد؛ إذ لم يكن الأمر كذلك لا في حياة النبيّ صلّى اللَه عليه وآله، ولا في حياة أمير المؤمنين عليه السلام، ولا في حياة الأئمّة عليهم السلام. والوجه فيه: أنّ الإمام عليه السلام

يتقدّم بالإنسان بمقدار ما لديه من اهتمام وصفاء، وبمقدار ما لديه من تسليم، وهو لا يحرّكه أكثر ممّا لديه، وما لم يسلّم المرء نفسه للولاية وما لم يرَ الإمامُ فيه الألمَ فماذا يداوي؟

طبيب عشق مسيحا دم است ومشفق ليك * چو درد در تو نبيند كه را دوا بكند**

[طبيب العشق نفَسه نفَس المسيح وهو مشفق، ولكن ما لم ير فيك ألمًا، فماذا يداوي؟!]

فإذا لم يأت محمّد بن مسلم إلى الإمام الصادق عليه السلام ويطلب منه الهداية، فلن يهديه الإمام؛ ولذا جاء إلى الإمام وطرح مشكلته، وأخبره بما لديه من التسليم. نعمْ لا معنى هنا للكلام؛ لأنّ وليّ اللَه لا يحتاج إلى الكلام ليعرف ذلك. جاء يومًا أحدهم إلى المرحوم العلاّمة في مشهد وأخذ يعبّر عن تسليمه وانقياده ـ وكنت حاضرًا في ذلك المجلس ـ وتحدّث بكلامٍ يقول كلّ من سمعه: ليس على الأرض من هو أكثر تسليمًا منه؛ فقد عبّر عن ذلك بما يكاد الصخر يتفتّت لرقّته، وبعد أن خرج، سألني المرحوم العلاّمة: كيف وجدت حاله؟ فقلت: كان كلامه مجازًا لا حقيقةً، فضحك وقال: نعم، هو كذلك. وكنت قد استنتجت ذلك من طريقة تعامل المرحوم الوالد معه، وإلاّ فمن الذي يفهم باطنه؟!

وكتب رجل لا يزال الآن على قيد الحياة ـ وهو رجل صالح من أهل التهجّد والمراقبة، إلاّ أنّ التسليم والانقياد شيء آخر ـ رسالة إلى السيّد الحدّاد، وقد أخبرني بنفسه بما كتب فيها بعد مرور عدّة سنوات وبعد وفاة المرحوم العلاّمة، وأنا لم أرَ الرسالة، إلاّ أنّه في ذلك السفر الذي تشرّفت فيه بزيارة كربلاء برفقة المرحوم العلاّمة رضوان اللَه عليه بعد عودتنا من مكّة، وكان لي من العمر سبعة عشر عامًا، كنت جالسًا، فأعطى المرحوم الحدّاد الرسالة إلى المرحوم العلاّمة دون أن يفتحها وقال: لقد أرسل أحدهم هذه الرسالة، فاقرأها وأجب عنها، ففتح المرحوم العلاّمة الرسالة في المجلس وقرأها وقال: إنّها مجاز، ووضعها جانبًا في مكانها، ثمّ بعد ذلك أخبرني صاحبها من دون أن أتحدّث معه بشأن هذا الموضوع:«لقد كتبت رسالة إلى المرحوم الحدّاد»، وأخبرني أنّه أورد فيها مطالب عجيبة من قبيل: أنت أيّها السيّد الحدّاد بحر، فخذ بأيدي المساكين، وكذا وكذا... ولكنّ أولياء اللَه ليسوا بحاجة إلى قسَم ودليل.. إنّهم ينظرون، فيفهمون، فما شئت أن تتملّق أمامهم فتملّق؛ فإنّك لا تتعب إلاّ نفسك، ولكنّك ترى

بعضهم يأتي ويجلس جانبًا، فتفهم بأنّه يسعى نحو أمر حقيقي، فلا يقول شيئًا ولا يعلو صوته بالصراخ، ولا يريد موعدًا للقاء، ولا يتّصل الاتّصال تلو الاتّصال حتّى يفسد على الناس حياتهم.. لا! بل يقوم بأعماله ويُؤدّي ما عليه ويمضي في سبيله، وعوضًا من أن يُظهر هذه الأمور، تراه يستفيد من الداخل ويأخذ من الباطن؛ ولهذا، فإنّ أولياء اللَه تعالى يدعون الناس إلى هذا الاتّجاه، ولسان حالهم يقول: بدلاً من كثرة الكلام، اذهب وأصلح نفسك، ونحن مطّلعون ومراقبون، ولولا ذلك لما حصل عندك هذا الهمّ من أصله.

وهذه هي حال الإمام عليه السلام، وأولياء اللَه كذلك؛ فهم لا يحتاجون إلى الكلام والاستماع والمدح، بل هم يبيّنون الطريق؛ فإن لم يمش فيه الإنسان، فلا يتوقّع شيئًا بعد ذلك، ولا داعي لأن يعرض نفسه ويبرز ما عنده بالكلام، فالفارق واضح بين من يعمل وبين من لا يعمل، وبين من يُرتّب الأثر على ما يُقال له وبين من لا يقوم بذلك.

حقيقة التشيّع وقصّة الأسرة المسيحيّة

وقد سمعت من أحد الأصدقاء قبل أيام قصّة لطيفة أعجبتني، ولم يكن لي اطّلاع عليها قبل ذلك، حيث قال لي: في زمان المرحوم العلاّمة، كان عندي موعد للقاء به في أحد الأيّام، غاية الأمر أنّني كنت في النمسا، وكان من المقرّر أن آتي إلى مشهد، وكانت هناك أُسرة لأحد أصدقائي أصيب والدها بفالج، والمتعارف هناك أنّ من يصاب بذلك المرض يُؤخذ إلى المراكز الصحيّة، غير أنّ أفراد أُسرته النصارى اجتمعوا لرعايته والاهتمام به، وتعاونوا جميعًا على ذلك، وخلقوا في المنزل جوًّا جميلاً حميميًّا لا يشعر فيه أحد بالتعب والملل من خدمته.. يقول ذلك الصديق: لقد كانوا يحتاجون إليّ في بعض المسائل، فاتّصلت بالمرحوم العلاّمة وقلت له: لقد صادفت مشكلة، وبعض الأصدقاء يحتاجون إليّ، ولكن إن أمرتموني بالمجيء، فأنا مستعدّ، وإلا أجّلت السفر قليلاً. فقال: لا، أجّلوا سفركم، ونحن بانتظاركم في أيّ وقت تأتون. فبقيت هناك، وجئت إليه بعد أُسبوعين أو ثلاثة، فسألني: ما حقيقة تلك المسألة؟ فحاولت أن أتجاوز الموضوع ولم أعره أهميّة، ولكنّه أصرّ وقال: لا، أخبرني عنها! فرأيت أنّه من

الضروري أن أخبره بها، فقلت له: إنّ المسألة بهذا الشكل.. وقد تصرّفت تلك العائلة المسيحيّة بهذه الطريقة. فقال: إنّ هؤلاء شيعةٌ لأمير المؤمنين في يوم القيامة! انظروا ماذا قال! يأتون يوم القيامة مع شيعة أمير المؤمنين عليه السلام! وقد أفاد هذا الكلام وليّ اللّه، ولست أنا القائل، فصاحب هذا الكلام شخص كان الأعلم في زمانه في الفقه والأُصول، وكان صاحب رأي ونظر في الفلسفة، هذا بغضّ النظر عن مستواه في العرفان والسلوك.. والغرض أنّه شخصٌ مسؤولٌ عن كلامه حقوقيًّا وفقهيًّا، ويعي ما يقول. واسمعوا في المقابل كلامه الآخر الذي قال فيه: إنّ الأسرة التي تنتسب إلى شيعة أمير المؤمنين بالاسم فقط، إلاّ أنّ طريقة تعاملها فيما بينها ليست مرضيّةً لأمير المؤمنين عليه السلام تقف يوم القيامة في صفّ مخالفي أمير المؤمنين عليه السلام من دون شكّ، بينما يأتي ذلك المسيحيّ أواليهوديّ إلى صفّ الشيعة ويدخل الجنّة مع أمير المؤمنين عليه السلام.

نعم، تكون تلك الأسرة في الجنّة مع أمير المؤمنين، وليس في ذلك مجاملة أو مزاح؛ فاللّه تعالى لا ينظر إلى ظاهرنا وزيّنا الجميل ولحيتنا وعمامتنا وتظاهرنا بالقداسة! ولا ينظر إلى علمنا ومكانتنا الاجتماعيّة، بل ينظر إلى قلبنا؛ والويل لمن جعل من نفسه مقدّمًا وزعيمًا ومأمن ثقة الناس ورجوعهم، فحُشر مع اليهود والنصارى، بينما يُحشر اليهود والنصارى العاملون على أساس فطرتهم وعلى أساس تعاليمهم الدينيّة والإنسانيّة وبمباني التوحيد شيعة. لقد كان بإمكان أفراد تلك العائلة أن يأخذوا أباهم إلى دار العجزة، لكنّهم أخذوه إلى منزله ووضعوه بينهم؛ فهؤلاء يندرجون تحت رعاية الولاية، لا في يوم القيامة، بل في نفس تلك اللحظة هم تحت الرعاية الخاصّة لبقيّة اللّه.. من هم هؤلاء؟ إنّهم أفراد الأسرة المسيحيّة؛ ولا داعي لكي ننتظر يوم القيامة؛ لأنّه ما لم يتحقّق ذلك الآن لا يمكن أن يظهر في يوم القيامة، فكلّ ما يكون في القيامة هو موجود في الدنيا الآن. والآن حيث نسمع وصيّة المرحوم العلاّمة قائلاً: أبغض الأشياء عندي الطلاق، ولا نرتّب على ذلك أثرًا، فنحن يهود وإن كنّا نحضر في المجالس بعنوان أنّنا سلاّك، بل نحن نصارى وإن كنّا نشارك في المجالس باسم السلاّك، وسيُرمى بنا في قعر جهنّم على رؤوسنا، وإن عددنا أنفسنا شيعة لأمير المؤمنين عليه السلام؛ أفهل الدنيا عبث؟!

وهل الدنيا فوضى؟! لا أيّها العزيز! فلكلّ شيء حساب، ولا وجود للفوضى، ولا يمكن للمرء أن يفعل ما يحلو له، ولا بدّ أن يكون لكلّ عمل ألف حساب وكتاب، ولا بدّ أن يكون لكلّ إنسان منزلته وتكليفه.

يخطئ من يقول: لا بأس أن يُضيَّع حقّ من الحقوق لصالح إنسان آخر! هذا دين عمر وأبي بكر، لا دين أمير المؤمنين! دين أمير المؤمنين عليه السلام يقول: الحقّ حقّ مهما كان صاحبه: سواء كانت الزوجة أم الأُمّ، ولا بدّ من إقامة الحقّ واتّباعه، وإذا ما خالف إنسانٌ أمير المؤمنين في مورد ما، فهو مخالف للحقّ سواء كان من الأقربين أم من الأبعدين، والمخالفة مخالفة من أيّ طرف صدرت، والحق حقّ من أيّ طرف صدر، وهذا المبنى هو مبنى السلوك ولا شيء سواه. أمّا أن يُقال: هذا الكلام لصالح فلان، وذاك لصالح فلان الآخر، فهذا هراء وتلاعب، وصاحبه يهوديّ، بينما ذاك النصرانيّ الصادق شيعيّ، وهذه هي حقيقة الأمر، وإلاّ كنّا كمن يجعل من عند نفسه شرعًا خاصًّا ودينًا شخصيًّا، وكأنّما نصنع طريقًا ومنهجًا ومدرسة ودينًا على أساس فهمنا وأوهامنا.

لو دُستَ نملةً في هذه الدنيا، فقد ارتكبت عملاً مخالفًا؛ نعم، قد يضطرّ الإنسان إلى أن يدوس نملةً أو يقتلها لأنّها تُفسد، فهذا شيءٌ آخر، ولكن قد تكون تمشي في الشارع، فتشاهد نملةً، فإذا دُست عليها، فإنّك ستكون مخطئًا؛ لأنّه لا حقّ لك في ذلك، فهذه النملة تمشي في طريقها، فلماذا تُداس وتقتل؟! وإن جاءت فأرة إلى منزلك وأفسدت، فلكَ أن تقتلها، بل لو أمكن أن تتخلّص منها دون أن تقتلها، تعيّن ذلك. أمّا لو كانت تسير في الحقول، فبأيّ حقّ تقتلها؟! هذا الحيوان حيوان اللَه، ولا أذى له هنا، فدعه يعيش حياته، وإذا كانت النملة تمشي في الشارع، وتبحث عن رزقها، فإنّه لا يجوز لك أن تقتلها.. يقسم أمير المؤمنين عليه السلام أن لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أسلب نملةً حبّة من قمح أو شعير لما فعلت[1]؛ لماذا؟ لأنّ أمير المؤمنين مطّلع على ناموس عالم الخلقة، وملتفت إلى أنّ لكلّ موجود

[1] نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٤.

أهميّته الخاصّة عند الله، وهو مكلّف وعليه أن يمشي وفقًا لبرنامجه الخاصّ، وهذه النملة لها حسابها الخاصّ أيضًا، فلماذا يدوسها برجله؟ ولماذا يسلبها حبّة القمح؟

ولكن أُنظر إلى أين وصل بنا الحال، حيث صرنا نضيّع الحقوق، ونقلّب الأمور، ونقتل النفوس المستعدّة ونرتكب المظالم، ونلبس الباطل ثوب الحقّ، ثمّ نقول: نحن سلاّك طريق الله؛ وأيّ سلوك هذا؟ وأيّ طريق إلى الله يطوى؟ ما معنى السلوك وما معنى طريق الله؟ طريق الله هو العمل بالشرع ومبانيه، فهذا هو معنى السلوك والحركة نحو الله، وإلاّ فكلّ ما نقوم به ليس إلاّ لقلقة لسان، والوقوع تحت سيطرة العواطف والأحاسيس، وإبراز ردود أفعال عن جهل بتأثيرٍ من كلام بعض الأشخاص.

دور كلمات أهل البيت عليهم السلام في تعديل مسار الإنسان

وعليه، فإذا كان أولياؤنا العظام قد أوصونا بمطالعة هذا الحديث كلّ أسبوع مرّة واحدة أو مرّتين، فإنّما ذلك لأنّ هذا الحديث يدور بأجمعه حول الرياضة والسير إلى الله، وكلّ فقراته تدفع بالإنسان إلى الأمام، وتنبّهه، فما إن تهمّ النفس بالتخلّي عن هذا الطريق بسبب ابتعادها عن هذه المطالب حتّى يأتيه ويذكّره، وإلاّ فلو فرضنا أنّا وضعنا هذه الرواية جانبًا، ووضعنا كلام الإمام الصادق جانبًا، فلا شكّ أنّا سننسى تلك المطالب؛ لأنّ نفس الإنسان تحرفه، والمحيطين به يحرفونه، والصلوات التي ترفع عند دخوله المجالس تنحرف به.. تنحرف وتنحرف وتنحرف حتّى تُردي به في جهنّم. نعم، نفس هذه الصلوات! نعم، من يرفع صوته بالصلوات احتفاءً بك لا يغنّي لك لحنًا ولا يعزف، ولكنّه مع ذلك يميل بك إلى جهنّم بدلاً من إهدائك الأجر والثواب! ويا ليته كان يغنّي فقط!! فالغناء يعمل على تحريك الجانب الحيوانيّ والخياليّ عند الإنسان لا أكثر، وأمّا هذه الصلوات، فإنّها تعمل على قلب حقيقة النفس والتراجع بها وإسقاطها عن إنسانيّتها، كما تقوّي فيها الأنانيّة، وهذا ما لا يؤدّيه الغناء. فهذه الأمور لا تحرّك الشهوات والتخيّلات والتوهّمات وأمثال ذلك، بل إنّها ترفع من أنانيّة الإنسان؛ وهذا ما ينبغي الفرار منه ثمّ الفرار، والحذر منه ثمّ الحذر؛ أي هذه الصلوات والقيام والقعود، وتلك الدعاية

وذاك الإعلان.. فكلّ ذلك يعمل على تدمير الإنسان، ويزيل منه العبوديّة والفقر، ويحوّلهما إلى الفرعونيّة والرئاسة والأنانيّة والاستكبار والإنكار والجحود أمام الولاية وأمام اللَه، وكلّ بحسبه وبحسب نوع مسيره: فبعضهم بالتصفيق، وبعضهم بالصلوات، وبعضهم بالدعاية والإعلان، وبعضهم بالكتابة عنهم في الصحف، ولا فرق بين هذه الوسائل.

إذن، فالمسير الذي عيّنه أولياء اللَه معناه الحذر، بل هذا المسير لا يعني إلاّ الانتباه والحذر. وإذا ما خاض الإنسان تجربة مع أحد، ثمّ طالع حديث عنوان البصري فسيكتشف أنّه اليوم قد اشتبه وقد خادع، وأنّه لم يلتفت ولم يعمل بما كان ينبغي له، وسيخاطب نفسه: لقد وقعتُ سريعًا في حبال الغضب هذا اليوم.. لقد تسرّعت في الحكم.. لقد صرخت اليوم في وجه ولدي.. وقد أنبّته بغير سبب!! لقد أسأت التعامل مع زوجتي.. لقد قلت اليوم لجاري ذاك الكلام... لقد فعلتُ كلّ ذلك؛ والحال أنّ الإمام الصادق عليه السلام يقول : لا، كن حازمًا! كن محتاطًا! فكّر قبل الإقدام على أيّ فعل! وهذا ما يثبّت العزم على عدم ارتكاب تلك التجاوزات في اليوم التالي، فيأتي اليوم التالي ليجد أنّ أحواله قد تبدّلت.. لقد اختلف حالي اليوم عمّا كنت عليه بالأمس. وأمّا لو وضعت هذه الرواية جانبًا، فاليوم سأُواجه مسألة، وغدًا مسألة أخرى، وهكذا... وشيئًا فشيئًا إذا ما غابت تلك المباني والقواعد الكلّيّة، فستحتلّ هذه التوهّمات والتخيّلات الجزئيّة مكانها، وستستقرّ النفس عليها، وحينها، لن يعود بإمكان الإنسان أن يدرك تلك المباني الكليّة التي كان من السهل عليه إدراكها والقبول بها.. لقد كنتَ قبل شهر تقبل بها، أمّا الآن فترفضها! وكنت تقول: معك حقّ، لقد اشتبهت وسأعمل على التغيير! وأمّا الآن فتقول: لا، سأفكّر وأنظر في الأمر؛ لعلّ الأمر ليس كما تقول، وأنا عندي من ناحية أخرى تكليف آخر، ولا يمكن أن ننظر إلى المسألة من جهة واحدة، ولا بدّ أن نسمع من الطرفين.. لماذا لم تكن قبل شهرين تتكلّم بهذا الكلام؟ لأنّك ابتعدت، وبما أنّك ابتعدت، فقد تنحّت تلك المعايير جانبًا، وحلّت مكانها معايير أُخرى.

لقد كان المرحوم العلاّمة رضوان اللَه عليه يؤكّد على مسألة في غاية الأهمّيّة، كما كان هو ملتزمًا بها في سلوكه؛ فلطالما كان رضوان اللَه عليه يوصي أن إذا سمعتم شيئًا من كلمات

المعصومين عليهم السلام، أو تناهت إلى أسماعكم وصيّة من وصايا أولياء اللَه، فلتعدّوا أنفسكم أنّكم أنتم المخاطبون بها. ومن التزم بذلك، فقد عثر على سرّ التوفيق، ومن ترك مراعاته، فقد باء بالفشل، مهما كان الأمر ومهما كان الكلام، حيث كنت أرى ذلك منه رأي العين، وكان يحدُث أمام ناظريّ؛ فعندما كان المرحوم الحدّاد رضوان اللَه عليه يتحدّث موجّهًا خطابه إلى الآخرين مثلاً، كان المرحوم العلاّمة وحده هو الذي يلتفت إلى حقيقة كلامه، وربّما كان المجلس يضمّ خمسة عشر رجلاً، وكان المرحوم السيّد الحدّاد يتوجّه إليهم بحسب ما نفهم نحن من كلامه. نعم، كلام أولياء اللَه ذو بطون ومراتب، ويمكن أن لا تعني إحدى مراتبه إنسانًا بعينه من الحاضرين، غير أنّ المراتب الأعلى قد تعنيه؛ ولذا، على هذا المستمع أن لا يرى نفسه بمنأى عن ذلك الكلام قائلاً: حسنًا إنّ ما يقال لا يعنيني.. لا، بل لا بدّ أن يطبّق المسألة على نفسه، ولا مانع أن يكون هناك بين الجالسين من لا يلتفت إلى تلك المراتب الرفيعة من الكلام، فلا يجب عليه تطبيقها على نفسه حينئذ. فإذن، إذا ما جلس الإنسان بين يدي أولياء اللَه أو واجه كلامًا من كلام المعصومين عليهم السلام أو رواية من روايات الإمام الرضا عليه السلام ـ سواء نقلت له أو قرأها في كتاب، فهذه الأحاديث هي مفتاح سعادة الحياة ـ فعليه أن يرى نفسه هو المعنيّ والمخاطب بها، وذلك بالمستوى الذي يفهمه هو، ولا نقول بمستوى أرفع ممّا يفهم؛ فإنّه لا يعي تلك المراتب؛ ولكن المهمّ أن لا يرى نفسه أرفع منها؛ وهذا هو داؤنا نحن: فنحن دائمًا نعمل على نسبة العيوب كلّها إلى الآخرين مبرّئين أنفسنا منها، والحال أنّ المبرّأ من كلّ العيوب هو الإمام عليه السلام لا نحن، فنحن المطالبون بالسعي للوصول إلى الولاية ومعرفة الإمام عليه السلام ومعرفة ذات اللَه، ولا بدّ من بذل ما في وسعنا في رفع نقائصنا وعيوبنا، وأيّ كلام خير من كلام المعصوم عليه السلام؟! فإن تركنا كلام المعصوم جانبًا، فأيّ كلام بعده سنسمع؟ أذلك الهراء الذي يصدر من هنا وهناك؟! وإن تركنا كلمات المعصوم عليه السلام، فأين ستكون وجهة حياتنا في هذه الدنيا؟ إلى أيّ كلام وإلى أيّ حديث سنلقي بأسماعنا؟! أإلى ما يدور على ألسنة الناس في المجالس؟! إلى تلك الموضوعات التي يلوكونها صباحًا ومساءً بغير طائل؟ إلى مثل هذا نسعى؟ أم إلى كلام المعصوم عليه السلام فنعمل به،

وإلى مطالب أولياء اللَه فنصغي إليها، وإلى كتبهم ووصاياهم وتوجيهاتهم فنطبّقها؟! وهذا معنى ما كانوا يصرّحون به من أنّ وظيفة الأستاذ هي بيان الطريق لا أكثر.

نعم، هناك وظيفة أُخرى للأستاذ (وهي عبارة عن نفس فعل وليّ اللَه تعالى) تتمثّل بالأخذ بيد السالك ومساعدته بالمقدار الذي يختاره هذا السالك لنفسه لا أكثر؛ فإن قال السالك للأُستاذ: أوصلني إلى منتهى هذا الزقاق، أجابه وأخذ بيده إلى حيث شاء. وإن قال: خذ بي إلى تلك الساحة، أوصله إليها. وإن طلب منه أن يأخذه إلى الحرم قال: لا بأس، هيّا إلى الحرم! وهناك من يطلب الوصول إلى الولاية. وبالطبع من يروم الوصول إلى الولاية، فإنّ مسافة السفر ستكون أبعد ممّا يطويه صاحب المراحل الأولى، وكذا لا بدّ أن يكون أكثر زادًا وأشدّ تسليمًا بين يدي ذلك الوليّ، بينما سيكون عزمُ من يريد نهاية الزقاق قد تلاشى، حيث إنّ هذا سيتّجه من هذه الناحية وذاك من تلك، ولكنّ الوليّ على كلّ حال سيوصل كلاًّ إلى مقصوده. ولذلك، كنّا نرى في تلامذة أولياء اللَه مراتب متفاوتة، فلكلّ درجته، وكان أولياء اللَه يبتسمون للجميع ويتحدّثون مع الجميع، ويرضونهم كافّة، والحال أنّ لكلّ منهم رتبته الخاصّة، إلى أن يصلوا إلى تلك المرتبة التي تتطلّب بعض الضغوط والصعوبات، فإنّنا كنّا نرى أن المسألة تتوقّف عند ذلك الحدّ.

علّة ضرورة الرياضة وحقيقتها

إنّ حديث عنوان يشير بتمامه إلى مسألة الرياضة، حيث تناول فيه الإمام الصادق عليه السلام ما يتعلّق بالرياضة والمراقبة. وقد تقدّم في الجلسة السابقة أنّ علّة ضرورة الرياضة هي التعلّق، فلو أنّا كنّا أتينا إلى هذه الدنيا دون أن نتعلّق بها، لما كان للرياضة من معنى، فالتعلّق بالدنيا هو الذي أوجد فينا الكدورة، وألقى على نفوسنا حجابًا، وجعل رؤيتنا ضيّقة ومحدودة، وران على أنظارنا بالأغشية والقيود، فأخرجنا عن تلك السعة وذاك الإطلاق.. وهذه المسألة في غاية الغرابة؛ إذ كيف يمكن للإنسان أن تكون له غرفة واحدة، غير أنّه يتعلّق بها فتأخذ بلبّه وتشغل فكره، بينما يملك آخر المال الكثير دون أن يتعلّق به؟! فإن قيل له: لقد خسرت ذلك

المقدار من أموالك، سيقول: أحقًّا ما تقولون؟! لا بدّ أنّه ذهب إلى مكانه المناسب! يقولون: مالُك الآخر أصابه ما أصابه، فيقول: لا بأس! وينهي المسألة بكلمة واحدة.

يذكر معاوية شيئًا عن أمير المؤمنين عليه السلام فيقول: رحم اللَه أبا تراب ـ وهو هنا لا يفارق حقده ـ رحم اللَه أبا تراب، فلو كان لديه جبل من التبر وجبل من التبن، لتصدّق بتبره قبل تبنه في سبيل اللَه.. هذا ما فهمه معاوية.

ولكنّ المرحوم العلاّمة كان يعلّق على ذلك بأنّ هذا الأحمق إنّما تكلّم بهذا الكلام ووزن أمير المؤمنين بهذا الميزان لِما يجد في نفسه من التفاوت بين التبر والتبن. وأمّا أمير المؤمنين، فلا فرق لديه بين التبر والتبن؛ فهما سيّان عنده، لا أنّهما مختلفان ثمّ يأتي لينفق الذهب أوّلاً؛ بمعنى: إن كان التبن هو الأعزّ لأنفقه أوّلاً، وإن كان الذهب لأنفقه أوّلاً.. لا، ليس الأمر كما وصف من أنّ الذهب أعزّ لديه فيقول للَه: إلهي، إنّي أنفق أوّلاً ما هو أعزّ وأثمن!! لا، فلربّما رأى للتبن قيمة أعظم! فهو في النهاية مأكول تأكله الحمير والأبقار، فيطعمه للبقرة ويصل نفعه للإنسان، وأمّا الذهب، فلا يؤكل. فالحيوانات على الأقلّ تأكل التبن، فأمير المؤمنين عليه السلام كان عليه أن يشتري العلف للخيل، ولو كان لديه أغنام، فلا يمكنه أن يقدّم لها الذهب، ولو وضع الذهب أمام البقرة، لنظرت إليه باستغراب. أمّا نحن فلا ! نحن نقبل عليه لنأخذه! فنحن أدنى من البقر!! ضعوا أمام البقرة صندوقًا من الذهب، فإنّها لا تبالي به، وأمّا نحن، فلو وقع أمامنا مثقال من الذهب لما سألنا: هل هو ملكٌ لأحد أم لا؟ ولبادرنا إلى التقاطه، مدّعين أنّه من حقّ المارّة، ولا يمكن العثور على صاحبه، ونلتمس له حجّة شرعيّة. وكلّ ذلك لماذا؟ كلّ ذلك يعود إلى التعلّق، وبهذا التعلّق تبرز النفس، فبمجرّد ظهورها تلتفت إلى التعلّقات وتبتعد وتتنحّى جانبًا؛ أي إنّها تبتعد عمّا خلقها اللَه عليه؛ لأنّه ينبغي أن لا تتعلّق النفس بالذهب ولا بالفضة ولا بالعقارات ولا بالمباني. نعم، لا بدّ للإنسان من أرض لتدبير معيشته، ولا بدّ له من منزل؛ ولهذا قالوا: من سعادة المرء أن يتّسع منزله[1]. فكم هو جيّد أن يكون ذلك للإنسان، فيكون عياله أكثر راحة وسعادة، فيخرجون ويتنزّهون ويخرجون عن رتابة الحياة اليوميّة؛ إذ لا إشكال في

[1] أحمد بن محمد بن خالد البرقي، المحاسن، ج ٢ ، ص ٦١٠.

ذلك. إنّما المسألة في التعلّق، ومعنى ترك التعلّق هو عدم اضطراب الإنسان إذا ما تعرّض ماله للخطر، بحيث يتصرّف وكأنّه لم يحدث أمر ذو بال.. فالأحجار هي التي تزول، فلماذا تزول معها أنت؟! والمال هو الذي يُسلب أو يصير عرضة للخطر، فلماذا أقع أنا في المخاطر؟ لمَ يحدث بي كلّ ذلك؟! لماذا أخضع لتأثير ذلك؟ وعليه، إذا أردنا أن نتحدّث عن الرياضة بحسب ما ذكره الأولياء، وبحسب ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام في هذه الرواية، لكن بعنوان أوسع نستفيده من مجموع كلماته عليه السلام، فإنّنا نقول: إنّ الرياضة هي عبارة عن ذلك العمل الذي يقوم به الإنسان ليُثبّته في طريق الانقياد والطاعة، ويبعده عن كلّ ما يوجب انحرافه عن هذا الطريق.. هذه هي الرياضة.

أولى مراتب الرياضة: ترك المحرّمات وفعل الواجبات

ولهذه الرياضة بطبيعة الحال مراتب مختلفة: فمنها الرياضة المتعلّقة بالمسائل العاديّة والظاهريّة، ومنها الرياضة المرتبطة بعالم المثال والتخيّلات، ومنها الرياضة التي تهدف إلى ترك ما سوى الله.. فكلّ ذلك من الرياضة. والرياضة في مرتبتها الأولى هي الرياضة على مستوى الأحكام التكليفيّة الإلزاميّة المتمثّلة بالحرمة والوجوب، حيث لا بدّ للإنسان من الإتيان بالواجبات وترك المحرّمات.

وعليه، فقد كان المرحوم آية الله الأنصاري يقول: من يرتكب المحرّمات ويترك الواجبات لا يتوقّع السلوك إلى الله والوصول إلى مطالب وأمور أخرى؛ فما هو الشرط الأوّل للسير إلى الله إذن؟ إنّه أداء الواجبات وترك المحرّمات، والمحرّمات واضحة: فمنها الكبائر ومنها الصغائر، وكذا الواجبات واضحة، ومنها المؤكّد وغير المؤكّد، وكلاهما واجب إلزاميّ، إلاّ أنّ أحدهما أشدّ وآكد من الآخر، تمامًا كما هو الحال في المحرّمات.

والعجيب أنّ الشهيد الثاني رحمه الله قد طرح كلّ تلك الأمور في كتابه بشأن الغِيبَة، غير أنّنا نجد أنّ هناك من يترك شرب الخمر والقمار والشطرنج ـ مع أنّ الشطرنج لم يعد يُترك في هذا الزمان ـ ولكنّه لا يترك الغيبة! مع أنّه روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: **الغيبة**

أشدّ من الزنا[1]. وللأسف، كأنّ الأمر لا يعنينا؛ فيجلس أحدنا إلى صديقه ويبدأ بالحديث إليه: «أتدري ما صنع فلان؟ هل سمعت بما أصاب فلان؟...» فلماذا نشيع ذلك؟ لماذا؟ وهل نحن مبرّؤون من العيوب؟ ألا نرتكب نحن أعمالاً مشينة؟ وما دام الناس غير مطّلعين على ذلك الخطأ، فلماذا نفشي نحن السرّ؟ إنّ حرمة المؤمن تقتضي كتمان مثل هذه الموارد، ولسنا نتحدّث هنا عن التهمة، فإنّ لها شأنًا آخر، فالغيبة **ذكرك أخاك بما يكره**[2]، وحديثك عنه بما يسوؤه، والغيبة هي الكلام المؤذي؛ ولنفرض أنّ مؤمنًا ارتكب خطًا، فلماذا تأتي أنت وتقول: لقد ارتكب فلان خطأً؟ ما شأنك بذلك؟ ربّما ارتكبه اشتباهًا أو جهلاً أو غفلة، وهناك ألف احتمال؛ فلماذا أنت تتولّى إشاعته؟ على الإنسان أن يكتم عيوب ما يسمع ويرى ويستره ليستر اللَه عيوبه.

فغدًا يفشي اللَه عيبك؛ لأنّ هذه الدنيا دار مكافأة ومجازاة: إن سترت عيوب غيرك، ستر اللَه عيوبك، وإن هتكنا الأستار، هتك اللَه عنّا أستارنا؛ ونتيجةً لاطّلاعي على كثير من المسائل والعلاقات بين الرفقاء زمان المرحوم العلاّمة، فقد رأيت بعينيّ هَاتَيْن المئات من الموارد التي عاقب اللَه فيها من يشيع العيوب بفضح عيوبه في دار الدنيا.. وإنّه لأمر عجيب، بحيث لا يحتاج ذلك لأن يأتي يوم القيامة والحساب؛ ففي هذا العالم يحاسبك اللَه نقدًا معجّلاً، والمؤجّل أعظم! هذا ما يرتبط بالواجبات والمحرّمات التي على الإنسان أن يراعيها، ومضافًا إلى كلّ ذلك، فإنّ هذه الذنوب تعمل على تكدير القلب، وتغشّيه بالظلمة. كم وكم نادى بنا أولياء اللَه أن: كفى بالمرء شغلاً بمعايبه عن معايب الناس[3]. فلا داعي لأن نُجيل أبصارنا هنا وهناك بحثًا عن نقائص غيرنا، فإنّا لم نكلّف بذلك، وما كلّفنا به اللَه ورسوله والإمام عليه السلام هو عيوبنا لا عيوب الناس، وحتّى من أرادوا منه أن يشتغل بعيوب الناس، فإنّهم يخبرونه بذلك، ويهمسون في أذنه أن اذهب وتولّ مهمّة ذلك الأمر، وأمّا مسؤوليّتنا نحن، فهي دراسة عيوبنا ومشاكلنا

---

[1] الشيخ الصدوق، الخصال، ص ٦٣.

[2] الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٢، ص ٢٨١.

[3] الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج ١١ – ص ٣١٥

ونقائصنا، ولا يمكن بيان الأمر بأكثر من هذه الصراحة، وهذا شرط أساسيّ من عمل به، فقد أسّس في حياته لأهمّ محاور السلوك.

ضرورة الاهتمام بالنفس دون الالتفات للغير

فللسلوك محاور متعدّدة ـ أربعة أو خمسة ـ وكلّها تمتاز بالأهمّيّة، وأحدها هو توجّه الإنسان إلى عيوب نفسه. وهناك محاور أخرى: منها ما كان يوصي به المرحوم العلاّمة من ضرورة الاهتمام بأمر النفس دون الالتفات إلى الغير، من قبيل: من هذا الذي يجلس إلى جانبي؟ وماذا يصنع؟ فحينما كان أمير المؤمنين عليه السلام يأتي إلى النبيّ صلّى اللَه عليه وآله ويجد عنده أبا بكر، هل كان يسأل: لماذا يجلس هذا هنا عندك يا رسول اللَه؟! لا، بل كان يأتي ويأخذ نصيبه من الفوائد ثمّ ينصرف، ولم يكن ليهتمّ بشخصيّات الحاضرين عند النبيّ صلّى اللَه عليه وآله، فسواءٌ لديه أكان الجالس أبا بكر أم معاوية أم سلمان أم عمّارًا؛ وهل مرادك هو أبو بكر وعمر حتّى تعترض؟ أم مرادك هو النبيّ صلوات اللَه عليه وآله؟ يكفي مجيئك وسماعك كلام النبيّ، بل وحتىّ إن لم يرد النبيّ أن يتحدّث، فيكفي حضورك في مجلسه. أمّا لو جئت وقلت: يا إلهي! لماذا جئتُ إلى النبيّ صلّى اللَه عليه وآله وأبو بكر عنده؟ فقد انتهى كلّ شيء، وقد خسرتَ حتّى النبيّ، فقم وارجع من حيث أتيت، فلم يعد لجلوسك هذا من فائدة، ولتعُد في يوم آخر. أو أن تقول: لقد جئت إلى النبيّ لأستشعر حالة جيّدة، ولآنس به وأستمتع بحديثه.. جئت ليحدّثني عن المعراج وليقصّ عليّ أخبار الأمم السالفة، ويحدّثني عن الجنّة والنار، إلاّ أنّ عمرًا قد جاء واحتلّ مكانًا من المجلس؛ فلن يتمكن النبيّ من الحديث معنا؛ فلنجلس مقطّبي الجبين! وقد كنتُ أرى ذلك بأمّ عيني مع أولياء اللَه، والآن أنقله إليكم، فأنا أخبركم اليوم بأسرار شهدتها ومسائل سمعتها من الأولياء. ففي أحد الأيّام، جاء عند المرحوم العلاّمة أحد مخالفيه، وبعد ذلك، دخل إلى المجلس أحد الذين يذكر المرحوم العلاّمة اسمهم في كتاب له، فوقع نظره على ذلك المخالف، فشرع في محضر الأولياء ومجلسهم بإهانته وذمّه والتعريض به.. من الذي كلّفك بذلك؟ هذا الوليّ جالس، فما هو دخلك أنت بذلك؟ البيت بيته: إن شاء استقبل وإن لم يشأ لم

يستقبل؛ فمن كلّفك بالتصدّي؟ أوليّ أنت؟ أم قيّم؟ أم وكيل؟ وقلّة الأدب هي التي أدّت به إلى أن يسقط في جهنّم، كما عبّر المرحوم العلاّمة.

عندما كان يأتي أمير المؤمنين عليه السلام إلى النبيّ صلّى اللَه عليه وآله، كان النبيّ بالنسبة إليه هو النبيّ؛ فسواءً ذهب معه لوحده في سفر، أو ارتقى النبيّ المنبر، وجلس هو بين الناس وأصغى إلى كلامه، فهو النبيّ بالنسبة إليه، وسواءً جاء إلى منزله ووجده وحيدًا، أو جاء ووجد عنده شخصًا آخر، فهو النبيّ بلا فرق. لقدكان الإمام عليّ يرى النبيّ فقط، ولم تكن عينه ترى سوى التوحيد، ولا ترى الكثرة.. إنّه ينظر إلى الوحدة، ويرى شيئًا واحدًا، فكان النبيّ معشوقه ومحبوبه؛ ولذلك وصل، وصار أمير المؤمنين، بينما تجدنا نحن ندور حول أنفسنا!

كان يأتي بعضهم إلى المرحوم العلاّمة ـ ولن أذكر اسمه الآن، فقد كان رجلاً صالحًا جدًّا ـ وكان يقول لي: لمَ أنت على علاقة بالمعمّم الفلاني، بينما لست على علاقة بالمعمّم الفلاني مع أنّه سيّد؟! لماذا يتواجد فلان هنا؟ قلت له: عزيزي، عليّ أن أرى ما هو تكليفي تجاهك، حتّى أحدّد ما هو دخلك بهذه الأُمور؟ فأنت قد جئت إلى هنا في زمان قد بلغ فيه الوالد الخمسين من عمره، والحال أنّك لا تميّز بين الهرّ والبرّ [1]، فإن كنت أُستاذًا، فأخبرنا لندَعَ والدنا ونأتيَ إليك؛ فما شأنك أنت؟ هل أتيت إلى هذا المكان لتفرض رأيك على آرائه، أو لتقدّم آراءه على رأيك؟ فإن كان الأوّل هو غرضك، فلتندب حظّك العاثر، لأنّك لم تستفد شيئًا! وإن كان الثاني هو مرادك، فما بال هذه الاعتراضات؟! فلتأت إلى هذا المكان، ولتأخذ حظّك من الفوائد ولتنصرف، ولا شيء وراء ذلك. كما قلت له: أأبي أرفع أم النبيّ صلّى اللَه عليه وآله؟ وهذا الذي تنتقده أسوأ عند اللَه، أم أبو بكر وعمر؟ ألم يكن هؤلاء يأتون إلى بيت النبيّ صلّى اللَه عليه وآله؟ وكانت هذه الحادثة قد وقعت منذ ما يقارب خمسًا وثلاثين عامًا، وكان لي من العمر ستّة عشر أو سبعة عشر عامًا. نعم، قلت له: ألم يكن هؤلاء يأتون إلى بيت النبيّ؟ ألم يكونوا يأتون ويجلسون؟ فهل يتغيّر جوّ المجلس بمجيئهم، أو أنّه يبقى على حاله، والنبيّ يبقى على حاله؟ فهذا النبيّ هو نبيّ: في

[1] مثل فارسي يستخدم لبيان جهل الإنسان. (المترجم)

الصلح هو نبيّ.. في السفر نبيّ وفي الحضر نبيّ.. في النوم نبيّ وفي اليقظة نبيّ، وهو في ابتسامته نبيّ، وفي تقطيب حاجبيه وتأديبه نبيّ؛ فهو في كلّ هذه الأحوال نبيّ، وكما يقول سعدي:

عاشقم بر لطف وبر قهرش به جد * وين عجب من عاشق اين هر دو ضد**

[أنا عاشق له في لطفه وفي جلاله، فيا عجبًا أن صرت عاشقًا لهذين الضدّين]

هذه الرؤية هي الرؤية التوحيديّة؛ ولذا، كان المرحوم العلاّمة هو الوحيد الذي نبغ من بين الجميع، فلم يكن من وظيفته النظر إلى رُوّاد منزل المرحوم الحدّاد: مَن الداخل ومَن الخارج؟! فأولياء اللَه مكلّفون بالتعامل مع كلّ إنسان بما ينسجم مع رتبته، وذلك من خلال السعة الوجوديّة التي يتمتّعون بها، وعلينا نحن أن لا نتدخّل في تكاليفهم!

وصايا حول شهر ذي الحجّة ومناسباته

حسنًا، لقد تحدّثت اليوم عن تلك المسائل التي كنت أودّ طرحها، وبقيت بعض المسائل الأخرى، ومن المحتمل أن ينعقد مجلس آخر قبل حلول محرّم، لكن بما أنّه على الإنسان أن يأخذ بعين الاعتبار جميع الاحتمالات الواردة؛ لأنّ التوفيق بيد اللَه تعالى الذي يُقدّر الأمور للإنسان ويُجريها له، فإنّ هناك بعض المسائل التي يجدر بالإخوان أن يطّلعوا عليها، وإن لم تكن خافية عنهم، ولكنّني أشير إليها من باب التذكير، وهي تختصّ بشهري ذي الحجّة الحرام ومحرّم؛ فقد دنا موعد هذا الأخير، فيحسن أن نشير إلى بعض ما يتعلّق به أيضًا. إنّ شهر ذي الحجّة من الأشهر التي تمتاز بأهمّيّة كبيرة، وليست العشرة الأُولى منه وحدها هي العظيمة، بل سائر أيامه كذلك، كما أنّ مناسباته هي مناسبات رفيعة: أوّلاً، إنّ هذه العشرة التي نحن في رحابها هي تتمّة لأربعين النبيّ موسى عليه السلام التي يقول القرآن الكريم بشأنها: {وواعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ}[1]؛ ومعناها: لقد حدّدنا لموسى في البداية ثلاثين ليلة، ولكن بعد أن أتمّها، وجدنا أنّ لديه استعدادًا لاستقبال المزيد من الفيوضات، فلم نبخل عليه، وأضفنا له في وعائه المزيد من الرزق، وأفضنا عليه من ألطافنا ونعَماتنا لمدّة عشرة أيّام أخَر، فصارت أربعين ليلة..

[1] سورة الأعراف، الآية:١٤٢.

{فتمّ}؛ فلم يقل بدايةً أربعين، بل قال ثلاثين، ثمّ أضاف إليها هذه العشرة، حتّى يصل موسى إلى تلك الفعليّة التي يجب أن يصل إليها، وينال تلك المرتبة التي تليق به. والحاصل، أنّ ما ناله موسى عليه السلام في هذه العشرة ـ على ما ذكر أولياء الله ـ لم ينله في الثلاثين التي مضت؛ فكانت نتيجة ذلك الشهر من المناجاة والعبادة في جبل الطور هو تلك النعم التي جعلته يفوز بهذه الأيّام العشرة.

ولذا، فإنّ الصوم في هذه العشرة من الأعمال المهمّة جدًا وله ثواب عظيم، وكذا الأذكار التوحيديّة الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام، حيث من المستحبّ أن تُقرأ في اليوم عشر مرّات: **لا إله إلا الله عدد الليالي والدهور** ...إلى آخرها، فيؤدّي المؤمن هذه الأذكار ويلتفت إلى معانيها.

فهذه الأذكار هي أكبر دليل على مبدأ وحدة الوجود؛ فليس في وسع أمير المؤمنين عليه السلام من وجهة نظر علميّة وفنيّة، ومن وجهة نظر شهوديّة، ومن وجهة نظر الحكمة المتعالية والعرفان النظريّ أن يأتي بتعبير أكثر صراحة من هذا ليعبّر به عن وحدة الوجود وصرافته وبساطته. وتمتاز هذه الأذكار بغرابة ودقّة عجيبة، فإن عثرتم على ترجمة دقيقة لها،[1] فلتكن قراءتكم للأذكار ناظرةً إليها؛ لتلامسوا لطائف هذه المعاني التوحيديّة ورقائقها.

وفي الحقيقة، فإنّها أذكار عجيبة، حيث يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **لا إله الله عدد لمح العيون**، فليست الأعيان الثابتة والتعيّنات الخارجيّة هي الوحيدة التي تمثّل مظهرًا للتوحيد، بل كافّة العوارض التي تعرض على هذه الأعيان هي مظاهر له أيضًا، من الحركات والسكنات وعدد الرياح ومقدارها.. فما معنى **لا إله إلا الله عدد الرياح**؟ أو **لا إله إلاّ الله عدد الليالي**؟ أو **لا إله إلاّ الله عدد الأيام**؟ **وعدد السنوات وعدد الأشجار**؟ **لا إله إلاّ الله عدد الشوك والشجر، ولا إله إلاّ الله عدد الشعر والوبر**. فما معنى أن يكون لحقيقة (لا إله إلاّ الله) وجود بعدد كلّ شعرة في الدنيا؟ هل تعني أن نأخذ السبحة بأيدينا ونقول: لا إله إلاّ الله بهذا العدد؟!! أهذا هو ما يريده الإمام عليه السلام؟! لو كان الأمر كذلك، لكان من الأفضل أن يأتي برقم واحد ويضع

[1] باعتبار أنّ المخاطبين ناطقون باللغة الفارسيّة (م).

إلى جانبه أصفارًا من هنا إلى طهران! فلماذا إذن يأتي الإمام بالشعر والشجر والحصى والصخور والوبر والبحر وحركات الرياح والصحاري؟ لمَ كلّ ذلك؟ إنّه يعني بذلك أنّ كلّ ما يتحقق ويتعيّن في الخارج هو تجلّ للتوحيد، ونحن عن ذلك غافلون، وأنّ للّه تعالى حضورًا عينيًّا خارجيًّا مع كلّ شعرة شعرة، لا أنّ الشعرة هي الحقّ تعالى، أو أنّ الشعرة هي اللَه، لا! فالشعرة هي الشعرة، ولكنّ وجود اللَه غير منفصلٍ عن هذه الشعرة، وله ظهور خارجيّ من خلال هذه الشعرة، وله وجود خارجيّ من خلال هذه الريح، وهذا البدن، ومن خلال جفون العيون، وله ظهور خارجيّ من خلال حركة اليد، وله ظهور خارجيّ من خلال الليل.. وممّن صدر هذا الكلام؟ إنّه كلام أمير المؤمنين عليه السلام. ليجلس كلّ منّا مع نفسه، وليتفكّر في هذا الكلام؛ وهو في غاية الأهميّة بالنسبة لهذه الأيّام العشرة من ذي الحجّة، بل حتّى بالنسبة لشهر رجب... أي بالنسبة لكلّ ما يماثل هذه الأيّام، فقد ورد التأكيد على الصوم في هذه الأيّام بما لم يرد في شهر رجب، وكذا الاهتمام بالأذكار التوحيديّة والالتفات إلى التوحيد.

ومن هنا، يحسن بالسالك في هذه الأيّام العشرة خصوصًا أن يتوجّه في المراقبة بذهنه وفكره نحو التوحيد، وينصرف عن الكثرات والتعلّقات الخارجيّة؛ وذلك ليعظُم نصيبه من الفائدة. فهذه الأيّام هي أيّام اللَه التي يقول اللَه عنها في سورة إبراهيم: {وذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّه}[1]. أي: يا إبراهيم، ذكّر الناس بهذه الأيّام والفت أنظارهم إلى اغتنامها؛ ليأخذوا حظّهم من تلك المائدة التي مدّت بين أيديهم.

واليوم السابع من هذا الشهر هو يوم شهادة الإمام الباقر عليه السلام، والذي يصادف يوم غد على ما يظهر، واليوم التاسع هو يوم عرفة.. ذلك اليوم الغنيّ عن التعريف، وليلته من أهمّ الليالي، ومن المؤكّد فيها استحباب زيارة سيّد الشهداء عليه السلام؛ فقد كان الأولياء والعرفاء والمرحوم السيّد الحدّاد يقرؤون زيارته عليه السلام في تلك الليلة، ويوصون بها تلامذتهم، وأمّا من وُفّق للتشرّف بالحضور في تلك البقعة المباركة، فله شأنٌ آخر، وسيفوز بالعديد من النعم والألطاف.. نسأل اللَه تعالى أن يرزقنا جميعًا، وإن لم نوفّق لذلك، فالأمر باقٍ

[1] سورة إبراهيم، الآية ٥.

على أهميّته أيضًا؛ لأنّ ولاية الإمام عليه السلام واسعة، وطريق الولاية واسع لا يختصّ بمكانٍ، والإمام مرتبطٌ بالقلوب ويشدّها إليه. نعم، يبقى أنّه يجتذب إليه تلك القلوب المستعدّة التي لها القابليّة.

طرف من أسرار يوم عرفة ودعائه

كما أنّ صوم يوم عرفة هو من أهمّ المستحبّات الأكيدة ما لم يؤدّ إلى الضعف المانع عن تلاوة الدعاء بعد ظهر عرفة، وأمّا إذا أمكن الجمع وخصوصًا في هذه الأيّام القصيرة النهار اليسيرة الصيام، فلا يفوّت. وليس العمل الوحيد في يوم عرفة هو دعاء سيّد الشهداء فحسب، بل هناك عدد من الأدعية المذكورة في مفاتيح الجنان؛ وهي من المستحبّات المؤكّدة أيضًا. وأمّا دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة، فهو من الأدعية العجيبة جدًّا، حيث كان الأولياء يدعون به ويوصون مريديهم بذلك، وكان المرحوم العلاّمة في كثير من السنوات يجمعنا في بيته، ثمّ يأمرني بقراءته، بحيث يستمع الحاضرون وينصتون. ولا بدّ أن نهجر ما هو شائعٌ الآن في المجالس من إمساك كلّ من الحاضرين نسخة من كتاب مفاتيح الجنان والشروع بالدعاء مستقلاً؛ فالدعاء يُقرأ من قبل أحد الحاضرين فقط. نعم، من أحبّ أن يقرأه بنفسه، فليقرأه في منزله، ولا إشكال في ذلك؛ كأن يذهب إلى منزل أو إلى مسجد أو إلى مكان يحقّق فيه الخلوة مع نفسه ويكون فيه وحيدًا، فهذا جيّد. وأمّا إن كان هناك جماعة في مجلسٍ واحدٍ، فليقرأ أحدهم الدعاء، وليستمع الآخرون وليردّدوا بقلوبهم؛ فإنّ هذه الطريقة تفوق في أثرها طريقة القراءات المستقلّة لكلّ من الحاضرين، والأمر نفسه في سائر الأدعية؛ فهذا يؤدّي إلى عمق الأثر وزيادة التركيز.

نعم، إنّ دعاء عرفة لدعاء رفيع.. إنّ في دعاء سيّد الشهداء في هذا اليوم بحارًا من المعرفة، حيث بيّن فيه الإمام عليه السلام خضوع تمام وجوده بكلّ مراتبه وشراشره لِيَد القدرة الربانيّة، سواء على مستوى الإيجاد أو التكامل أواستمرار الحياة أو كيفيّة المساعدة والهداية؛ وهو عجيب واقعًا، وفي غاية الروعة. فمن يقرأ هذا الدعاء ويلتفت إلى ما يتضمّن من معانٍ، سيدرك أن لا

شيء من حركاتنا يمكن أن يتحقّق بمعزل عن عناية اللَه؛ فما لم تكن عناية من اللَه، فلن يمكننا القيام بأيّ شيء على الإطلاق! ولو أنّ عناية واحدة سُلبت منّا، لأحاطت بنا مئات الموانع، مع أنّ مانع واحد يكفي لإيقاف الإنسان، ومنعه عن أداء عمله، والحيلولة دون وصوله إلى الهدف الذي يتحتّم عليه الوصول إليه، ومانع واحد يكفي لحجزه عن الصلاة والدعاء والتوجّه، فمن الذي يرفع كلّ هذه الموانع؟ لقد أشار الإمام عليه السلام في هذا الدعاء إلى أنّ اللَه يرفع كافّة هذه الموانع قائلاً: إلهي أنت أخذت بيدي، وهيّأت لي كل ما هو خيرٌ لي، وأزلت الموانع الواحد تلو الآخر، وأنا غافلٌ عن ذلك.

فأنا جئت الآن إلى هذا المجلس، ولكن هل تعلمون أنّ آلاف الموانع قد أزيلت حتّى أمكنني الوصول؟ لا! نحن نقول بكلّ سهولة: ركبنا السيّارة وشغّلنا محرّكها وأتينا! كان هناك آلاف الموانع التي لا علم لنا بها، لو تبيّنت لنا واحدة منها، لقلنا: يا للعجب، لو حدثت هذه المسألة، لما أمكننا الوصول! ولكنّ اللَه أخفى كلّ ذلك قائلاً: ما عليك إلا أن تصفّي قلبك، ولا علاقة لك بالباقي، فنحن سنرفع عنك الموانع، فاللَه تعالى قد سهّل لنا الأمور.. أنا أحمل عنك جميع أثقالك، فماذا عليك بعد ذلك؟ لا نريد منك سوى مثقال ذرّة من الصفاء، وشيئًا من الهمّة، ومقدارًا من الصدق، وما تبقّى هو علينا نحن، فلم يأمرك أحد بنحت الصخور! فهذه الأعمال هي وظيفتنا نحن، وما عليك إلاّ الصفاء، ونحن نتولّى دفعك إلى الأمام، وتعبيد الطريق لك، وسنقدّم لك ما ينفعك، ونبعد عنك ما يضرّ بحركتك. فنحن الذين نقوم بكلّ ذلك، وأنت تقول: ما شاء اللَه! أنا سالكٌ! أنا أتقدّم وأسير في سبيلك يا ربّ! كلاّ يا عزيزي، تعالَ وانظر إلى حقيقة الأمر! حينها سنطأطئ رؤوسنا خجلاً، ولن نجرؤ على النظر إلى وجه اللَه، ولا إلى وجوه أولياء اللَه! عجبًا لنا أين كنّا، فلم يكن الأمر بطلب منّا:

ما نبوديم وتقاضامان نبود ❊❊❊ لطف تو ناگفته ما می شنود

[لم نكن نحن ولم يكن الطلب منّا ❊❊❊ لكنّ لطفك هو الذي يَخبُر عمّا في ضميرنا]

أنت أددت منذ البداية كلّ شيء حتّى أوردتنا هذا الطريق.

أودّ أن أطرح عليكم هذا السؤال: لو لم يكن المرحوم العلاّمة، ولم تكن تلك السلسلة، ولو لم يكن هؤلاء الأولياء العظام، فماذا كنّا سنصنع؟ نعم، يمكن أن يجعل اللَه طريقًا آخر، ولكن لو فرضنا أنّه كان هو الطريق الوحيد ولم يجعل لنا غيره، وقال: أنا أريد أن أسدّ هذا الطريق وأحرمكم منه! فلو لم يكن هؤلاء الأولياء، ولو لم يوصلوا إلينا الحقيقة، فمن أين كانت ستصلنا هذه التعاليم؟ لو أردنا حينها أن نصل إلى اللَه، فماذا كان علينا أن نصنع؟ أفكان يجب علينا أن نصغي إلى هذا الهراء الذي تسمعون؟ من الذي منّ علينا برجل كهذا يكتب لنا الكتب حتّى وهو ملقى على السرير بعد إجراء عمليّة جراحيّة؟ من الذي منّ علينا بذلك؟ وقد ذهبنا إليه وقلنا له: يا سيّدي، دع الكتابة الآن! فقال: أأترك الكتابة؟ إذن ماذا أصنع؟ لا، فأنا الآن بمقدوري أن أكتب صفحة أو صفحتين.. فمن الذي جعله كذلك؟ ومن الذي ألقى فيه الشوق والرغبة والألم؟ ومن الذي أودعه تلك الهمّة وذلك الإحساس؟ نسأل اللَه أن يرزقنا فهم ذلك يومًا ما. نعم، نحن ندرك ذلك بنسبة ما، ولا أقول أنّنا لا ندرك، والإخوان يدركون، والحمد للَه كلّهم من أهل الفضل والمعرفة، ولكن نسأل اللَه أن يرزقنا فهمًا أعمق لذلك الألم الذي دفعه يومًا أن يقول في طهران: لو قطّعوا بدني إربًا إربًا على أن أتنازل عن سطرٍ واحدٍ ممّا كتبته، لما فعلت. فلنحاول استشعار هذا الألم؛ فإذا بلغنا ذلك، فستتّخذ الأمور صورة أُخرى، وستتغيّر أمورنا وأحوالنا.

عيد الأضحى: قيمته وأعماله

كما أنّ عيد الأضحى هو فرصة أخرى من فرص هذا الشهر؛ وهو يوم عظيم، وأحد اليومين اللذين جعلهما اللَه عيدًا؛ فالعيد الأوّل هو عيد الفطر الذي جعله اللَه تعالى بعد شهر من الصيام والضيافة الإلهيّة، حيث يقدّم اللَه تعالى ثوابه فيه مع أداء صلاة العيد: **اللهمّ بحقّ هذا اليوم الذي جعلته للمسلمين عيدًا ولمحمّد صلّى اللَه عليه وآله ذخرًا وشرفًا وكرامة ومزيدًا**.. إلهي أنت الذي جعلت هذا اليوم عيدًا، ومن شأنه أن يكون عيدًا، لماذا؟ لأنّا رجعنا من ضيافتك؛ فقد جئنا إليك وحللنا عندك شهرًا، فتطهّرنا وتجرّدت نفوسنا، وقلّت كثراتنا، وضعفت

تعلّقاتنا.. ألا يكون المرء في شهر رمضان أكثر قدرةً على الإنفاق؟ فهذا علامة على ذلك.. ألا يكون الإنسان في شهر رمضان أكثر رقّة بحيث يبكي بكلّ سهولة؟ ألا يكون المرء في شهر رمضان أكثر صفحًا وتجاوزًا وعطفًا وشعورًا؟ فمن أين جاء كلّ ذلك؟ إنّه من آثار ضيافة اللَه، لكن كلٌّ بحسبه وبحسب مستواه ومرتبته، وبمقدار الأعمال التي أدّاها. فذلك اليوم هو يوم عيد، وقد كان الأولياء العظام ـ كما قرأتم في أحد كتب المرحوم العلاّمة ـ يذهبون في هذا اليوم إلى زيارة الأئمّة شكرًا للَه تعالى؛ فكانوا يأتون إلى النجف، وإلى كربلاء لزيارة سيّد الشهداء عليه السلام وأبي الفضل عليه السلام، ثمّ يتوجّهون إلى الكاظمين عليهما السلام، ثمّ إلى سامرّاء، وإلى مقام السيّد محمّد ابن الإمام عليّ النقيّ عليه السلام، والذي ورد في حقّه أنّه كان تالي تلو الإمام (وقبره في طريق سامرّاء في قرية تسمّى بلد)، وهكذا سائر أولاد الأئمّة كحمزة والقاسم المدفونين في كربلاء.. وهؤلاء العرفاء هم الذين يُقال عنهم: إنّهم ضدّ الولاية!! كم على الإنسان أن يبتعد عن الدين والوجدان ليتفوّه بمثل هذا الكلام؟! إن لم تكن ذا دين، فلتكن صاحب وجدان! أهؤلاء هم أعداء الولاية والذين لا يولون الأئمّة مزيد عناية؟!

فهؤلاء العظام كانوا يزورون في عيد الفطر بعنوان الشكر، والأمر نفسه في عيد الأضحى؛ ومرادهم من ذلك أن: يا إلهنا، يا من أوردنا في هذه الأيّام العشرة المسمّاة بـ (أيام اللَه)، لقد قضينا ثلاثين موسى عليه السلام، ثمّ هذه العشرة، فتمّت أربعين يومًا! ولا تظنّوا أنّ يوم العيد مختصّ بأولئك الذين هم في عرفات ومنى والمشعر، فأُولئك لهم أجرهم الخاصّ، ولكنّ نفس ذلك الملكوت الحاكم على تلك الأماكن هو حاكم هنا أيضًا عند كلّ مراقب عامل بما ورد في هذه الأيّام؛ فإنّ ذلك الملكوت يعمّ ملكوت كلّ عامل في كلّ مكان، وكأنّه قد زار مكّة وعرفات والمشعر وذبح؛ ولذلك يستحبّ الذبح في هذا العيد حتى مع عدم التشرّف بالحجّ في العام نفسه، وخصوصًا لمن كان قد تشرّف فيما سبق، ويستحبّ له أن يذبح كلّ عام في مثل ذلك اليوم لتشمله الآثار الملكوتيّة الخاصّة بالحاجّ؛ ومن هنا، من المناسب جدًّا للجميع أن يصلّوا صلاة العيد في هذا اليوم فرادى أو جماعة لو شاؤوا.

ويستحبّ أيضًا المداومة على الأذكار التوحيديّة المختصّة بذلك اليوم حتّى غروب اليوم الثاني عشر، حيث كان أولياء الله تعالى يقرؤون هذا الأذكار بعد صلاة الصبح عند صلاة العيد، وبعد صلاة الظهر والمغرب والعشاء من اليوم الحادي عشر وحتّى غروب الثاني عشر حيث ينتهي وقتها، فلا تُقرأ في اليوم الثالث عشر.. هذا ما يتعلّق بعيد الأضحى.

قيمة عيد الغدير وضرورة إعلانه في أرجاء العالم

والمناسبة الأخرى في هذا الشهر هي عيد الغدير.. يوم تجلّي الولاية وظهورها، ويوم أمير المؤمنين عليه السلام، واليوم الذي قال فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله: **أفضل أعياد أُمّتي**[1]. وهذه الرواية المنقولة عن رسول الله مسلّمة؛ إذ الدين الذي يخلو من الولاية لا شيء، والصوم بغير ولاية عليّ عليه السلام كَلاَ صوم، بل هو مجرّد هيكل أو صنم. والصلاة بغير ولاية أمير المؤمنين عليه السلام مجرّد صلاة ظاهريّة لا فائدة منها؛ فإذا طُبع عملٌ مّا بخاتم الولاية، ولَجَتْه الروح، وأمّا إذا لم تُمض الولاية على العمل، فماذا سيكون؟! سيكون عبارة عن رياضة ولياقة بدنيّة.. ألستم تقومون بذلك في الصباح أو في المساء؟! هذا فيما يخصّ الصلاة، وأمّا الصيام، فسيكون مجرّد التزام بنظام غذائي للحفاظ على الصحة والرشاقة... والحجّ مع الولاية هو حجّ إبراهيم وموسى عليهما السلام وحجّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وحجّ أولياء الله، وهو بغير ختم الولاية محض سياحة وتنزّه وتجوال. وممّا يؤسف له أنّه تحوّل إلى ذلك الآن، حيث شهدنا ذلك في تلك الأسفار التي قمنا بها. فعند الصلاة، ينهض مرشد الحملة ويقول: لنصوّر فيلمًا عن صلاتنا ليلة عرفات و... فهكذا صارت ليلة عرفة عندنا. وأمّا يوم عرفة، فحاله معلوم. فكلّ هذه المراسم تحوّلت إلى الاهتمام بالتصوير والانشغال بالمسائل الجانبيّة والابتعاد عن المعنى. فمع أنّه قد يوفّق الله تعالى الإنسان في عمره مرّة واحدة ليزور مكّة ومشاعرها والأماكن التي

---

[1] الشيخ الصدوق، الأمالي، ص ١٨٧ – ١٨٨:

حدثنا الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي ، قال : حدثنا فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي ، قال : حدثنا محمد بن ظهير ، قال : حدثنا عبد الله بن الفضل الهاشمي ، عن الصادق جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن آبائه (عليهم السلام) ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يوم غدير خم أفضل أعياد أمّتي....

وقف فيها أنبياء اللَه، لكنّه يأتي ليُشغل نفسَه بهذه المسائل!! فيكون بذلك أسوأ الناس حظًا بخسرانه النعم الإلهيّة... نسأل اللَه تعالى أن يهبنا شيئًا من الفهم، وشيئًا يسيرًا من الشعور؛ لنفهم الحقائق بنحو أفضل.

والحاصل أنّ المسؤوليّة ثقيلة جدًّا، وعلى كلّ حال، فإنّ يوم الغدير هو عيد ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ولا بدّ أن تتحوّل قضيّة ولاية أمير المؤمنين إلى شعار، لكن وبحمد اللَه، نرى في هذه الأيّام أنّها تتّجه شيئًا فشيئًا إلى عالم النسيان!!! وذلك لصالح قضايا الوحدة [المزعومة] بين الشيعة والسنّة. ولا بدّ من القول هنا أنّ ما نقوم به هو عمليّة فناء في التسنّن، فقد تجاوزنا عمليّة الوحدة!! وقد تحوّل الأمر إلى عمليّة إفناء للتشيّع في التسنّن، وذوبان في شخصيّتَي عمر وأبي بكر!! فنرى فئة ممّن لا يعرفون اللَه في شيء يحملون الفؤوس في أيديهم لينهالوا ضربًا بها على ظهر التشيّع، فاللَه فقط هو الذي يجازيهم. إنّهم يقومون باسم التشيّع بمنع ذكر اسم أمير المؤمنين عليه السلام، ومنع الحديث عن الخلافة.. ما معنى هذا المنع؟! قلبَ من نريد أن نستميل؟! وخلف من نريد أن نمشي؟ وما الذي نخاف منه؟! إنّ للدين وليًّا، وإنّ وليّه لحيّ حاضر، ولا بدّ من الالتفات حتّى لا نتجاوز ـ لا قدّر اللَه تعالى ـ الخطوط الحمراء؛ فنكون ممّن ينصبّ عليهم غضب وليّنا الحيّ! إنّ التلاعب بمسألة ولاية أمير المؤمنين هو تلاعب بذنب الأسد[1]! وإذا فات الأوان، فلن ندري حينها من أين سنتلقّى الضربة! فإن شئتم أن تتلاعبوا، فلا بأس، ولكن ستفهمون جيّدًا أنّ الدنيا بيد من؟ فلا تدوسوا ذنب الأسد!!

لا بدّ من إعلان قضيّة الغدير إلى كافّة أرجاء الدنيا، لا كما يقول ذلك الجاهل: إنّ الولاية والغدير مجرّد فرع فقهيّ، وهناك اختلاف حول كافّة الفروع الفقهيّة. أيّها العديم الشعور، هل الولاية والغدير فرع فقهيّ؟! أم إنّها أهمّ المسائل الأصليّة في الشريعة والدين؟ هؤلاء هم الذين يقصمون ظهر الشريعة، وهؤلاء هم الذين كسروا ظهر أمير المؤمنين عليه السلام.. ماذا؟! فرع فقهيّ كسائر الفروع الفقهيّة!! أنت الذي عميت عينك، فلم ترَ ما قاله عليه السلام: «**لم يناد**

[1] مثل فارسيّ مشهور.(المترجم)

بشيء كما نودي بالولاية»[1]؛ أي: لم يُتّخذ في الشريعة بناء إلاّ وبناء الولاية أرفع منه، بل إلاّ والله أشدّ اهتمامًا بالولاية منه؛ فالولاية هي أرفع من كلّ بناء، وأرفع من الصلاة والصيام والحجّ.. ألم تقع عينك على ذلك؟! يقولون: يجب أن لا نتكلّم بهذا الكلام الآن، ويجب أن لا نأتي على ذكر ذلك! الآن ليس وقت هذا الكلام! متى وقته إذن؟ أعندما يظهر الحجّة؟! على الإنسان أن يلتفت إلى هذه المسائل، وعلينا أن نلتفت إلى أنّ شيعة أمير المؤمنين عليه السلام لا يصغون إلى كلام هذا أو كلام ذاك، فهم يوقفون أسماعهم على كلمات العظماء، والشيعيّ يأخذ تكليفه من أمير المؤمنين عليه السلام ومن العرفاء، ونحن نأخذ تكليفنا عن العارف الذي عرف أمير المؤمنين عليه السلام، وعن وليّ الله الذي عرف أمير المؤمنين عليه السلام، ولا نأخذه من كلمات أيّ إنسان يتكلّم في الصباح كلامًا ليخالفه عند الظهر وعند المساء وفق المصالح والمنافع الدنيويّة وبحسب ما تفرضه عليه منزلته وشخصيّته، بحيث تكون المسألة الوحيدة الغائبة عن كلامه هي مسألة صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه، والحقوق التي له في أعناقنا، ولا يكون لديه شيء سوى ذلك.

وصايا متعلّقة بكيفيّة الاحتفال بعيد الغدير

ومن هنا، علينا أن نضاعف من اهتمامنا بمسألة الغدير، ولا بدّ من الاحتفاء بها لمدّة أيّام خمسة عملاً بالسنّة التي أسّس لها الأولياء العظام، حيث يبدأ الاحتفاء بأربعة أيّام قبل الثامن عشر وينتهي به، ولا بدّ في هذه الأيّام من التعرّض للموضوعات التي تهمّ مدرسة أهل البيت وأمير المؤمنين عليهم السلام، وليس من المفيد الاقتصار على إلقاء الشعر في مدح أمير المؤمنين عليه السلام. نعم، يحسن أن تقرأ قصيدة أو قصيدتان أو ثلاثة، لا أن تُقضى هذه المجالس كلّها بإلقاء الشعر، بل لا بدّ أن تبيّن في هذه المجالس الموضوعات التي تهمّ أمير

---

[1] ورد هذا المضمون في العديد من الروايات منها :

أبو علي الأشعري ، عن الحسن بن علي الكوفي ، عن عباس بن عامر ، عن أبان بن عثمان ، عن فضيل بن يسار ، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال :«بني الإسلام على خمس : على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية ، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه ـ يعني الولاية ـ ». (الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص ١٨)

المؤمنين عليه السلام على مستوى العقائد، وكيفيّة التعاطي مع الحياة، وكيفيّة السلوك، وكلّ ما يثبّت أصولنا من المسائل الأساسيّة والجوهريّة؛ سواء صيغ ذلك في قالب شعر أو مقالة أو قصّة أو محاضرة أو كتاب. ولا بدّ أن تراعى مدّة هذه المجالس بما لا يؤدّي إلى ملل الحاضرين، بل يحافظ على نشاطهم. وعلى السيّدات المشارِكات في هذه المجالس أن تحضرن بزيّ مناسب، وتبتعدن عن الأزياء غير اللائقة؛ فمجلس ولاية أمير المؤمنين يختلف عن حفل الزفاف، كما لا بدّ من الابتعاد عن التظاهر والسمعة والتنافس بين مجلس وآخر؛ ولذا، ينبغي أن تكون المجالس كلّها في مستوى متقارب من حيث كلفتها، وقد سبق الحديث عن ذلك فيما مضى، فلا بدّ من مراعاة هذه الأمور. وعلينا أن ننشر الاحتفاء بهذا العيد في العالم كلّه؛ لأنّ من واجب العالم كلّه أن يحتفيَ بهذا اليوم، والحمد لله، فإنّ الكثير من البلدان تحتفي به. ولا بدّ أن يعمّ أرجاء العالم ذلك النداء الذي نزل على رسول الله أن: { يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ}[1]؛ أي: إن لم تبلّغ اليوم ولاية عليّ، فأنت لم تبلّغ شيئًا من رسالتنا.. وهذه الآية هي اليوم تنزل علينا نحن أيضًا؛ ألم نكن قد ذكرنا للرفقاء أنّ هذه الآيات للجميع؟ فكلّ آيات القرآن ـ من أوّل سورة الحمد وحتّى آخر سورة الناس ـ نازلة بشأننا نحن، غاية الأمر أنّها لكلّ واحد بحسب رتبته؛ وكأنّ هناك مرآة تعكس القرآن للآخرين تتمثّل بالنبيّ صلّى الله عليه وآله، لا أنّ القرآن نزل على رسول الله فقط بحيث نكون مطالبين بقراءته وحسب؛ فهذا لا يمثّل شيئًا من قيمة القرآن، ولو كان القرآن كذلك، لكان مجرّد صحيفة يوميّة! لا، بل إنّ آيات القرآن نازلةٌ على كلّ فرد منّا، وسوف يأتي هذا القرآن يوم القيامة ويخاصم ويدّعي ويشتكي: إنّ فلانًا قد ألقاني جانبًا! وليس ذلك مجرّد هزل؛ فالروايات تنبئ عنه، وليس الكلام كلامي، حيث تشير الروايات إلى شكوى القرآن أن: أهملوني ولم يعملوا بآياتي، ولم يصغوا إليها، ولم يتلوها؛ ومن هنا، فإنّ قول الله تعالى: {يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ} نزل علينا الآن.. فيا أيّها المتكلّم ويا أيّها السامع! إن لم تبلّغ ذلك، فما صلّيت وما صمت وما حججت وما تصدّقت؛ وهذا هو معنى {فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ}، أي: إنّك لم تبلّغ للناس الصلاة ولا الصيام ولا

[1] سورة المائدة، الآية ٦٧.

الحجّ. ونحن كذلك إن لم نبلّغ، فما صلّينا وما صمنا، ولا يعني أن تأتي بمكبّر الصوت وتشرع بالتبليغ، لا، بل كلّ يبلّغ ويعلن بما يتناسب مع مكانته؛ كأن تظهر ذلك لجيرانك، وتعلنه في متجرك؛ وهذا هو معنى الولاية. فإن كانت هناك ولاية، كانت الصلاة، وإلاّ فهي مجرّد تمارين رياضيّة. إن كانت الولاية في ختام صحائفنا، فنحن عباد، وإلاّ فماذا نكون؟ نكون فرعون ونمرود وشدّاد، وما في ذلك من هزل أو مبالغة؛ فهذا هو المعنى الحقيقيّ للولاية. ولذا، أوصى الأولياء العظام بإحياء هذه المناسبة وسنّوا هذه السنّة، وعلينا نحن بدورنا أن نتّبعها. حسنًا، هناك مسائل أُخرى كنت أودّ طرحها عليكم، ولكنّي أشعر بالتعب، ونسأل الله أن يُعقَد مجلس آخر قبل حلول محرّم الحرام، فنتحدّث للإخوان إن شاء الله عن شيء ممّا يتعلّق بعزاء سيّد الشهداء عليه السلام، وكيفيّة إحياء مجالسه، وما ينبغي للإنسان أن يخرج به من هذه المجالس، مع الإشارة إلى بعض ما يثار هنا وهناك حول هذا الموضوع.

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد